الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

هيبة الجزائر الدولية ومكانتها في عهد رياس البحر

(1518ـ 1587م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:

ـ سعداوي مخلوفي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
بيرم كمال	أستاذ محاضر ـ أ ـ	رئيسا
حسين محمد الشريف	أستاذ محاضر ـ ب ـ	مشرفا
بوكسيبة محمود	أستاذ محاضر ـ ب ـ	مناقشا

السنة الجامعية: 1436ـ 1437 هـ / 2015ـ 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

بداية أحمد الله عز وجل الذي وفقني لإتمام هذه الدراسة

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل

كما يشرفني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى الدكتور المشرف

"محمـــــــــد حسيـــــن الشريـــــــــف"

الذي لم يبخل علي بنصائحه القيمة التي مهدت لي الطرق لإتمام هذا العمل

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أمـــي وأبـــــي الغاليين أطال الله في عمرهما

وإلى كل إخـوتي وأخـــواتي وإلى كل أصدقـــائي

وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل

فهـــرس الـــــمحتويات

الإهداء

كلمة شكر

المقدمـة ..... أ- ت

الفصل الأول: ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية .....ص 4

1- الاعتداءات الإسبانية على الجزائر في القرن 16م ..... ص 5- 7

2- ظهور الإخوة بربروس في غربي المتوسط واستنجاد الجزائريين بهم ..... ص 8- 11

3- انضمام الجزائر للدولة العثمانية سنة 1518م ..... ص 12- 13

الفصل الثاني: تطور البحرية الجزائرية (1518- 1587م) ..... ص 14

1- نشأة وتطور الأسطول الجزائري (1518- 1587م) ..... ص 15- 20

2- طائفة رياس البحر ..... ص 21- 24

3- السياسة الإستراتيجية للجزائر في الجهاد البحري ..... ص 25- 27

الفصل الثالث: هيبة ومكانة الجزائر الدولية في عهد رياس البحر(1518- 1587م) ..ص 28

1- مشروع إنقاذ أهالي الأندلس ..... ص 29- 32

2- مشروع صد الحملات الصليبية خاصة الاسبانية (1518- 1587م) ..... ص 33- 37

3- تحرير الجزائر لتونس وطرابلس ومحاولة ضم المغرب الأقصى ..... ص 38- 40

الخاتمة 42- 43

الملاحق 45- 46

قائمة البيبليوغرافيا 48- 52

الفهارس 54- 55

فهرس المحتويات 56

2ـ فهرس الأماكن:

إسبانيا:5، 6، 7، 8، 9، 11، 22، 25، 30، 31، 32، 34، 36، 38، 40.

الأندلس:5، 9، 17، 22، 25، 30،29، 31، 32.

إيطاليا:36.

بجاية:7، 9، 10، 19.

البرتغال:5، 8، 40.

البليدة:11، 31.

تلمسان:7، 11.

التنس:7، 10، 12.

تونس:34، 38، 39، 40.

الجزائر:6، 7، 9، 10، 11، 12، 13، 15، 16، 17، 19، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 29، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 40.

جنوة:32، 35.

جيجل:9، 10، 16.

دلس:31.

الدولة العثمانية:12، 13، 17، 25، 27، 29، 38.

شرشال:7، 10، 12، 19، 32، 35.

شمال إفريقيا:8، 9، 22، 29، 32، 33، 39، 40.

الحوض الغربي للمتوسط:8، 29، 33، 36.

طرابلس الغرب:36، 38، 39، 40.

عنابة:7.

غرناطة:5، 32.

القسطنطينية:32، 33، 36.

القيروان:34.

مالطة:6.

المانش:21.

المدية:11.

المرسى الكبير:6، 7، 29.

مستغانم:7.

المغرب الأدنى:5، 11.

المغرب الأقصى:5، 40.

المغرب الأوسط:5 ،9.

المغرب العربي:5 ،27، 33، 39، 40.

ملیانة:11.

وهران:6، 7، 29.

1- فهرس الشخصيات:

أبو حمو الثالث: 11.

أبي حسون الوطاسي:40.

أحمد بن القاضي:11، 12.

إسحاق: 8، 10.

إلياس:8.

أندري دوريا:30، 33، 35.

آيدين رايس:30، 32.

إيزابيلا:5.

البابايوس:30، 34، 36.

بيدرو نافارو:7، 33.

حسن باشا:23، 29، 30، 32، 33.

حسن فنزانيو:31.

حيدر باشا:38.

خير الدين:9، 10، 11، 13، 18، 23، 24، 29، 32، 31، 33، 34، 35، 38.

درغوث باشا:29، 31، 32، 38، 39.

دون دييجو: 6، 7، 31، 33، 34.

دون مونكاد:30، 33، 34.

السلطان محمد الفاتح:8.

سليم الأول:13.

سليم الثاني:32.

سليمان القانوني:39.

سنان باشا:23، 30، 39.

شارلكان:31، 33، 34، 35، 38.

صالح رايس:18، 22، 24، 29، 32، 36، 39، 40.

عروج:8، 9، 10، 11، 12، 16، 26، 29،31، 34.

علج علي:18، 21، 23، 25، 31، 38.

فاسكون:30.

فرديناند:5، 6، 10.

كسيماناس:6، 7، 30، 31، 33.

محمد رايس:30، 32.

مراد رايس:31.

مولاي حسن:38.

مولاي عبد الله:11.

ميديا سلي:33.

يعقوب:8.

شهد مطلع القرن السادس عشر حدوث تغيرات كبيرة على ساحة البحر الأبيض المتوسط، حيث أدى الصراع الإسلامي بزعامة الدولة العثمانية ضد الغزو الصليبي في حوض المتوسط إلى تغير الخارطة السياسية لبلدان هذه المنطقة التي انطوى معظمها تحت راية الدولة العثمانية، وفي خضم هذه الأحداث برزت دولة استطاعت أن تصنع لنفسها مكانة بين الدول وأن تساهم بشكل كبير في سير هذه الأحداث في إطار الصراع الإسلامي الصليبي وهي الدولة الجزائرية التي أصبحت مصدر رعب وقلق للدول الأوروبية، وهذا كله بفضل ما تملكه من قباطنة الذين قادوا السفن الجزائرية، فلمعت عدة أسماء لبحارة جزائريين في القرن السادس عشر اهتموا ببناء وتقوية البحرية الجزائرية وذلك نظرا لطبيعة هذا الصراع وهو ما يجعل القوة البحرية قوة أساسية في سياسة الدولة، حيث ساهم رياس البحر في ظهور الجزائر في العهد العثماني كقوة جديدة لها سيادة وهيبة في البحر الأبيض المتوسط، وقد حملني هذا إلى طرح إشكالية رئيسية لموضوعي المندرج تحت عنوان "هيبة الجزائر الدولية ومكانتها في عهد رياس البحر 1518ـ 1587"، والتي حاولت صياغتها بالشكل التالي:

ـ إلى أي مدى ساهم رياس البحر الجزائريين في ظهور دولة الجزائر الحديثة كقوة فاعلة في حوض البحر الأبيض المتوسط؟ وكيف حظيت بفضلهم على مكانة مرموقة بين الدول؟

وتندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات وهي:

ـ ما هي الظروف والأسباب التي دفعت بالجزائر للانضمام تحت راية الدولة العثمانية؟

ـ ما هي العوامل التي ساهمت في تطور البحرية الجزائرية؟ وفيما تمثلت إستراتيجية الجزائر في جهادها البحري؟

ـ هل كان للأسطول الجزائري دور في حماية الدول الإسلامية؟ وما هو الدور الذي إضطلعه رياس البحر الجزائريين في جهادهم ضد الغزو الصليبي؟

ولقد كانت رغبتي في دراسة هذا الموضوع هي الدافع الأساسي لتناوله وذلك من أجل محاولة فهم الدور الذي لعبه رياس البحر في صنع شخصية دولة الجزائر القوية التي تولت الدفاع عن الإسلام والمسلمين، كما أن موضوع البحرية الجزائرية في الفترة الحديثة كان محل اهتمام الباحثين المحليين والغربيين في الحديث عن دور البحرية في الحفاظ على سيادتها.

ويكمن الهدف من هذه الدراسة الخوض في تفاصيل القوة البحرية الجزائرية التي صنعها رياس البحر في القرن السادس عشر والكشف عن دورهم في صد العدوان الخارجي، بالإضافة إلى خوض المعارك الجهادية في إطار الدفاع عن المسلمين ضد المسيحيين من خلال دعم الأندلسيين وتحرير البلدان المجاورة.

وقد اتبعت في دراستي هذه على خطة مكونة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، كل فصل يندرج ضمنه ثلاثة عناصر، فكان الفصل الأول وهو بمثابة فصل تمهيدي تحت عنوان ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية، حيث خصصته لدراسة الاعتداءات الإسبانية التي تعرضت لها الجزائر، ثم ظهور الإخوة بربروس في البحر الأبيض واستنجاد الجزائريين بهم، لغاية ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان تطور البحرية الجزائرية في الفترة الممتدة مابين 1518ـ 1587م، وتم التعرض فيه إلى نشأة وتطور الأسطول الجزائري، إضافة إلى تعريف طائفة الرياس ونظامها وأشهر رياسها، وأخيرا السياسة الإستراتيجية للجزائر في الجهاد البحري.

وبخصوص الفصل الثالث فكان بعنوان هيبة ومكانة الجزائر الدولية في عهد رياس البحر 1518ـ 1587م، وقد تعرضت فيه إلى الأعمال التي قامت بها الجزائر والتي حققت لها مكانة وسط الساحة الدولية وأهمها مشروع إنقاذ أهالي الأندلس، مشروع صد الحملات الصليبية خاصة الإسبانية، بالإضافة إلى تحرير الجزائر لتونس وطرابلس ومحاولة ضم المغرب الأقصى.

وقد تضمنت دراستي مجموعة من المصادر والمراجع من أجل توثيق المعلومات التي احتوتها ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها "مذكرات خير الدين بربروس" ترجمة محمد دراج وهي تمثل رواية لمسيرة الإخوة بربروس من جزيرة مدلي إلى حكمهم للجزائر وطردهم للإسبان، وكتاب وليام سبنسر تحت عنوان "الجزائر في عهد رياس البحر" الذي اعتمدت عليه كثيرا في الفصل الثاني في تطور الأسطول وكذا التعريف بطائفة رياس البحر ونظامهم وإستراتيجية الجزائر في جهادها البحري، وكتاب "المرآة" لمؤلفه حمدان بن عثمان خوجة والذي وظفته في الفصل الثاني في نظام طائفة الرياس، وفي الفصل الثالث في دعم البحارة الجزائريين للأندلسيين.

وبالإضافة إلى المصادر وظفت مجموعة من المراجع المتنوعة ومن بين المراجع التي اعتمدت عليها كثيرا كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" لمؤلفه مبارك الميلي، وكتاب "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا" لأحمد توفيق المدني اللذان اعتمدت عليهما في ذكر الاعتداءات الإسبانية على الجزائر، "كتاب الموجز في تاريخ الجزائر" ليحي بوعزيز الذي وظفته في رصد تطور سفن الأسطول عبر مختلف السنوات، بالإضافة إلى كتاب "نصوص ووثائق" لجمال قنان، كتاب "الجزائر خلال الحكم التركي" لصالح عباد، و"الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا" لعزيز سامح التر وغيرها من المصادر والمراجع الأخرى.

وقد تطلبت دراستي الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي الذي اعتمدته في وصف مجريات مختلف الأحداث البحرية التي خاضتها الجزائر، بالإضافة إلى المنهج الإحصائي الذي تكمن أهميته في رصد بعض الإحصائيات والسنوات.

وبطبيعة الحال لا يخلو أي بحث من الصعوبات والعراقيل، ومن الصعوبات التي واجهتها في دراستي تضارب التواريخ والإحصائيات واختلافها في معظم الأحيان، صعوبة ترجمة الكتب الأجنبية المتخصصة وصعوبة فرز المادة العلمية نظرا لتداخلها وتشابكها ونقص الخبرة في التعامل مع المادة العلمية لدي.

1_ الاعتداءات الإسبانية على الجزائر في القرن 16م:

عرف المغرب العربي بعد سقوط دولة الموحدين انقساما، حيث ظهرت ثلاث دويلات وهي دولة بني حفص في المغرب الأدنى ودولة بني زيان في المغرب الأوسط وبني مرين في المغرب الأقصى، وقد شهدت هذه الدول مع مطلع القرن السادس عشر تفكك سياسي كبير فساد الضعف داخلها، وهو ما شجع الدول الأوروبية للاعتداء على المغرب العربي مستغلة حالة التفكك السياسي التي يعيشها، وكان في مقدمتها إسبانيا والبرتغال، فتعرض المغرب الأوسط للاحتلال الإسباني[1]، وقد كان هذا الاحتلال يحمل عدة دوافع سياسية واقتصادية وإستراتيجية وأهمها الدافع الديني الذي كان المحرك الرئيسي لهذا الهجوم، وذلك للانتقام من مسلمي الأندلس الذين وفدوا إلى المغرب العربي بعد تمكن الإسبان من إسقاط آخر معقل لهم في غرناطة، فقد حملت هذه الحملات صبغة صليبية من خلال دعم الكنيسة ومباركتها لها[2]، كما كان لوصايا الملكة إيزابيلا دور في مواصلة الحملات ضد المغرب العربي حتى بعد موتها سنة 1504م، حيث تضمنت وصية الملكة ضرورة التعاون مع الكنيسة لمواصلة الحرب ضد المسلمين، وبالإضافة إلى الدافع الديني نجد الدوافع الاقتصادية والتي تمثلت في السيطرة على الطرق التجارية في البحر الأبيض المتوسط وذلك من خلال احتلال موانئ شمال إفريقيا، لذلك أمر الملك الإسباني فرديناند بتوجيه حملات عسكرية منظمة للسيطرة على مناطق المغرب العربي[3].

---

[1]ـ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ج8، المكتب الإسلامي، ط4، بيروت، لبنان، 2000، ص510.

[2]ـ محمد العروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982، ص ص 262ـ 263.

[3]ـ أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492ـ 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص ص 80ـ 88.

أ/ احتلال المرسى الكبير1505م:

قام الملك فرديناند بتجهيز حملة لاحتلال المرسى الكبير وتم اختيار دون دييجو كقائد للحملة ووضع تحت تصرفه جيشا يبلغ حوالي العشرة ألاف مقاتل، فغادر الجيش مالطة في أوت 1505م ووصل إلى المرسى الكبير في يوم 11 سبتمبر، حيث تأخر بسبب رياح معاكسة وقد كان هذا التأخر لصالحه لأن المجاهدين عندما سمعوا بإقلاع الأسطول من إسبانيا[1] استعدوا لمواجهته، لكن تأخر الحملة حملهم على الاعتقاد بأن الإسبان تخلوا عن خطتهم فرجع أكثرهم إلى دياره، شرع الإسبان فور وصولهم بمهاجمة المرسى الكبير ونظرا للمفاجأة لم يجدوا أمامهم عدد كبير من المدافعين حيث كانت توجد فيه حامية صغيرة مكونة من 500 جندي لم تستطع رد الهجوم لأن الغلبة كانت للقوة وكثرة العدد، واستمرت المعارك لمدة ثلاثة أيام بسبب توافد السكان من الداخل، ونتيجة استشهاد قائد الحامية في المعركة والتركيبة الضخمة للجيش الإسباني اضطرت الحامية أن تستسلم بعد حصار دام خمسين يوما حسبما أكده هنري غارو، فسقط المرسى الكبير في 1505/10/23م[2].

ب/ احتلال وهران 1509م:

قام الإسبان بإعداد حملة ثانية على الجزائر حيث أتم الكاردينال كسيماناس الاستعدادات للهجوم على مدينة وهران بنفسه فعينه الملك فرديناند قائدا عاما للحملة، فغادر قرطاجة يوم 16 ماي 1509م على رأس ثلاث وثلاثين باخرة حربية وواحد وخمسين زورقا ونزل بالمرسى الكبير يوم 18 ماي 1509م وهاجم وهران في اليوم التالي، وهنا يذكر بعض المؤرخين ومن بينهم شارل أندري جوليان أن المدينة سقطت نتيجة خيانة[3]، فالإسبان لم يتمكنوا من احتلال

---

[1]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 22.

[2]- بسام العسلي: خير الدين بربروس (والجهاد في البحر) 1470- 1547، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980، ص ص 60- 61.

[3]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي: المرجع نفسه، ص ص 26- 27.

المدينة إلا بعد التفاهم مع يهودي ورجلين من أهالي الأندلس أدخلوا بعض الإسبانيين للمدينة فتولوا فتحها للإسبان الذين دخلوا المدينة وقتلوا كل من وجدوه أمامهم، وتم تعيين دون دييغو قائدا عاما لمدينة وهران وحامية المرسى الكبير[1].

ج/ احتلال بجاية 1510م:

بعد أن ثبت الإسبان أقدامهم على الناحية الغربية وجهوا أنظارهم للناحية الشرقية وذلك لاحتلال بجاية، فقام الكاردينال كسيماناس بتجهيز حملة أوكل قيادتها إلى بيدرو نافارو الذي أكمل استعداداته سرا لكي لا تتسرب أنباء الحملة، وفي يوم 30 نوفمبر 1509م انطلق مدعيا العودة إلى إسبانيا لكنه رسى على جزر البليار إلى أن وصله الدعم من إسبانيا ثم أقلع بعشرين سفينة كبيرة تحمل عشرة ألاف مقاتل ووصلوا مدينة بجاية يوم 05 جانفي 1510م، فحاولة حامية بجاية صدهم لكن الإسبان تمكنوا من الانتصار وقد أسفرت الحملة عن تدمير المدينة كليا[2]، كما أدى سقوط بجاية إلى تحقيق عدة انتصارات للإسبان منها خضوع مدينة الجزائر عن طريق تطويقها من الشرق والغرب، وتعهد حاكمها سالم بن التومي بدفع الجزية وتسليمهم الجزيرة المقابلة لمدينة الجزائر لإقامة قاعدة بحرية إسبانية[3]، وبعد احتلال بجاية قام الإسبان باحتلال عنابة في نفس السنة 1510م، وبالإضافة إلى المدن التي احتلها الإسبان توجد بعض المدن التي عرضت سلطتها على الإسبان دون احتلال مثل التنس سنة 1508م، شرشال، مستغانم سنة 1511م، ثم تلمسان، وبهذا أصبحت إسبانيا إثر هذه العمليات سيدة الموقف دون منازع مابين بجاية شرقا ووهران غربا وصخرة الجزائر وسطا[4].

---

[1]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي: المرجع السابق، ص ص 26- 27.

[2]- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، المرجع السابق، ص ص 119- 122.

[3]- الأغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص ص 219- 220.

[4]- شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1977، ص ص 83- 84.

2ـ ظهور الإخوة بربروس في غربي المتوسط واستنجاد الجزائريين بهم:

أ/ أصل الإخوة بربروس:

يعود أصل الإخوة بربروس[1] إلى جزيرة مدلي[2]، فبعد تمكن السلطان محمد الفاتح من فتح الجزيرة عام 1457م أمر ببقاء حامية عسكرية فيها، وكان ضمنها رجل اسمه يعقوب الذي تزوج مسيحية وأنجب أربعة أولاد وهم إسحاق، عروج، خضر(خير الدين)، إلياس، حيث نشئوا تنشئة إسلامية، فاختار إسحاق طريق العلم في حين انصرف الإخوة البقية نحو التجارة عن طريق سفينتهم، وأثناء أحد رحلاتهم التجارية تعرض عروج وإلياس لهجوم من قبل فرسان رودس فقتل إلياس وأسر عروج[3]، الذي تمكن من الفرار بعد عدة محاولات وصمم على محاربة فرسان رودس، ثم التقى بعد مدة بأخيه خير الدين وقررا الانتقال إلى تونس لمحاربة القوى المسيحية في الحوض الغربي للمتوسط[4].

ب/ انتقال الإخوة بربروس إلى تونس في بداية القرن 16م:

لقد شهد مطلع القرن السادس عشر اشتداد وطأة القوى المسيحية في شمال إفريقيا خاصة بعد تمكن الإسبان والبرتغال من الاستيلاء على العديد من الموانئ البحرية، هذا الأمر استقطب الإخوة بربروس لينقلا نشاطهما إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط[5].

---

[1]ـ بربروس: أي أصحاب اللحية الشقراء، وهي تسمية أطلقها الأوروبيون على الأخوين عروج وخير الدين، ينظر عزيز سامح التر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1989، ص 41.

[2]ـ محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981، ص 230.

[3]ـ خير الدين بربروس: مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص 21ـ 23.

[4]ـ خير الدين بربروس: المصدر نفسه، ص، ص، ص 31، 40، 46.

[5]ـ إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط2، المملكة العربية السعودية، 1998، ص ص 66ـ 67.

فطلبا من السلطان الحفصي منحهم مكانا يلجئون إليه فأعطاهم ميناء حلق الوادي في جزيرة جربة مقابل منحه خمس الغنائم، فقام الإخوة بربروس بتحصين موقعهم ثم شرعوا في مهاجمة السفن المسيحية وألحقوا بها خسائر كبيرة، كما عملوا على مساعدة مسلمي الأندلس ونقلهم من شبه الجزيرة[1]، وبفضل الانتصارات التي حققوها ضد الإسبان في الحوض الغربي للمتوسط وإنقاذهم للأندلسيين الفارين من إسبانيا ذاع صيتهما في بلدان المغرب العربي وانتشر اسم الإخوة بربروس في مختلف مناطق سواحل شمال إفريقيا.

ج/استنجاد الجزائريين بالإخوة بربروس:

هذه الشهرة التي حظي بها الإخوة بربروس نتيجة الانتصارات التي حققوها في البحر المتوسط ضد القوى المسيحية جعلت سكان المغرب الأوسط يراسلونهم لتخليصهم من العدوان الاسباني المسلط عليهم[2]، فكان أول من استنجد بهم سكان مدينة بجاية طالبين تخليصهم من الحامية الاسبانية الموجودة في المنطقة، فلبى عروج النداء وغادر ميناء حلق الوادي بخمسة سفن محملة بالمدافع والسلاح ووصل إلى مدينة بجاية عام 1512م[3]، ثم نزل بصحبة خمسين رجلا لمحاصرة المدينة وأثناء ذلك تعرض لإصابة في يده اليسرى فاضطر للرجوع إلى تونس لمعالجته حيث تم بتر يده، ونتيجة لقوة تحصين مدينة بجاية صمم عروج على فتح مدينة جيجل التي كانت بها حامية مدينة جنوه الطليانية، فتمكن مع أخيه خير الدين من دخولها بعد حصار دام يومين سنة 1514م وجعل منها مركزا لعملياته البرية والبحرية[4].

---

[1]- ياتسيك ماخوفسكى: تاريخ القرصنة في العالم، ترجمة أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2008، ص 87.

[2]- أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، ملتزمة النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 2001، ص 69.

[3]- عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص 45.

[4]- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، المرجع السابق، ص ص 164- 168.

وبعد هذا حاول عروج تحرير بجاية من جديد سنة 1514م بجيش مؤلف من عشرين ألف رجل، فحاصرها لمدة ثلاثة أشهر ثم قرر رفع الحصار وعاد إلى جيجيل، وفي سنة 1515م تحرك عروج لتنفيذ محاولته الثالثة لتحرير بجاية معتمدا على إجراء حصار بري وبحري فاقتحمت سفنه مصب نهر الصومام ونصب حصارا محكما حول المدينة لكن قواته عجزت عن اقتحام التحصينات القوية للمدينة ما جعل عروج يفك الحصار وعاد إلى جيجل ليستعد للمعركة من جديد[1]، حيث باشر التحضير لحملة جديدة من أجل تحرير مدينة بجاية نهائيا من أيدي الإسبان، وفي هذه الأثناء وصل وفد من مدينة الجزائر سنة 1516م يطلب من عروج إنقاذهم من الخطر الاسباني المتمركز في حصن البنيون الذي اضطر الجزائريون إلى تسليمه للإسبان سنة 1510م، وبوفاة الملك فرديناند استغل سكان مدينة الجزائر الفرصة للتخلص من الإسبان فاستنجدوا بعروج سنة 1516م الذي قبل طلبهم، فخرج عروج برا على رأس قوة مؤلفة من 800 رجل من الأتراك و 3000 من مجاهدي الجبال القبائلية بينما تحرك خير الدين بحرا، ووصلوا إلى المدينة حيث استقبلوا كما أجمع المؤرخين استقبال الفاتحين، وفي طريقه قام عروج بتحرير مدينة شرشال، وبعد وصوله للمدينة باشر بقصف قلعة البنيون لكنه لم يتمكن من تحطيمها بسبب ضعف مدفعيته وقوة حصون القلعة[2]، ثم قضى على سالم بن التومي الذي اتفق مع الإسبان لمساعدته في استرجاع حكمه فأصبح بذلك صاحب السلطة الوحيدة في مدينة الجزائر[3].

[1]- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، المرجع السابق، ص ص 169- 171.

[2]- أحمد توفيق المدني: المرجع نفسه، ص ص 173- 174.

[3]- علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بورسعيد، مصر، 2001، ص ص 209- 210.

إن استقرار عروج في مدينة الجزائر جعل كامل مخططات الإسبان في الاستيلاء على بلدان المغرب العربي يوشك أن يقضى عليها من قبل هذه القوة الجديدة، فعزمت إسبانيا على شن حملة على مدينة الجزائر تشارك فيها القوات المستقرة في حصن البنيون بالإضافة إلى قوات سلطان تنس المحتمي بالإسبان، انطلقت الحملة سنة 1516م ونزلت في باب الواد لكن عروج استطاع هزيمتها، وبعدها سار نحو تنس للانتقام من حاكمها مولاي عبد الله المتعاون مع الإسبان تاركا أخيه خير الدين في مدينة الجزائر، وفي طريقه استولى عروج على المدية وملیانة والبليدة واشتبك مع أمير التنس الذي انتصر عليه ولحقه حتى وصل للمدينة التي دخلها بعد مقاومة استمرت يومين[1]، وفي هذه الأثناء أصبح أبو حمو الثالث حاكما على تلمسان وقام بتقديم الولاء لإسبانيا فاستنجد أهالي تلمسان بعروج لرفضهم الارتباط بإسبانيا، فسار عروج إليهم متخذا قلعة بني راشد مركزا لحماية مواصلاته[2] وترك بها حامية مؤلفة من 600 رجل على رأسهم أخوه إسحاق، ثم تواجه مع أبو حمو الثالث الذي لجأ للإسبان فدخل عروج مدينة تلمسان.

قام حاكم وهران الإسباني بإمداد أبو حمو الثالث بعشرة ألاف رجل فداهم قلعة بني راشد وقتل إسحاق سنة 1518م، وبعدها حاصر أبو حمو الثالث مدينة تلمسان حيث صمد عروج ورفاقه لمدة ستة أشهر ثم اضطر عروج للخروج باتجاه الغرب حيث لحق به الإسبان وأستشهد سنة 1518م[3].

[1]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي: المرجع السابق، ص ص 45- 46.

[2]- Ernest MERCIER، Histoire de L'Afrique septentrionale (BERBERIE), DEPUIS LES TEMPS LES PLUS RECULES JUSQ'ALA CONQUETE FRANCAISE(1830),Tome1, Ernest Leroux éditeur, paris, 1888, p 914.

[3]- خير الدين بربروس: المصدر السابق، ص ص 86- 92.

3ـ انضمام الجزائر للدولة العثمانية سنة 1518م:

بعد استشهاد عروج تسلم أخيه الريس خير الدين القيادة في مدينة الجزائر سنة 1518م، والذي وجد نفسه أمام مجموعة من الصعاب فأصبحت الأخطار تهدده من كل جانب، فكان هناك أعداء كثيرين يريدون فرصة للقضاء على الأتراك حيث أعلنت القبائل المؤيدة لعروج عصيانها وتمردها على خير الدين منها تنس وشرشال بزعامة أحمد بن القاضي، كما أن الحفصيين في الشرق كانوا يطمعون في الاستيلاء على الأراضي الساحلية المتاخمة، بالإضافة إلى الخطر الاسباني ونقص السلاح والعتاد[1]، في ظل هذه الظروف الصعبة التي تهدد بقاءه في مدينة الجزائر وضع الريس خير الدين أمامه احتمالين، الاحتمال الأول هو العودة إلى مقر الخلافة ويضع نفسه في خدمة الخليفة، أما الاحتمال الثاني فهو البقاء ومواصلة الكفاح، وقد استقر رأيه على الاحتمال الثاني حيث طلب منه علماء الجزائر البقاء ومواجهة الأعداء الذين يتربصون بالمدينة، فأدرك خير الدين أنه في بقاءه عليه الاعتماد على دولة قوية تحميه فقرر ربط مصيره بالدولة العثمانية[2]، وعرض ذلك على علماء وأعيان مدينة الجزائر الذين قبلوا اقتراح خير الدين وكونوا وفد توجه إلى إسطنبول من أجل طرح الأمر على السلطان العثماني، حيث حمل الوفد معه رسالة باسم علماء وأعيان وكافة سكان المدينة يعرضون فيها استعدادهم لطاعة السلطان العثماني[3]، ويطلبون منه نجدتهم في مواجهة الأخطار التي تواجههم، وقد تزعم البعثة الفقيه أبو العباس أحمد بن القاضي[4].

---

[1]ـ مؤيد محمود حمد المشهداني، سلوان رشيد رمضان:" أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي (1518ـ 1830)"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد5، العدد16، جامعة تكرت، الجزائر، 2013، ص ص 414ـ 415.

[2]ـ ياستيك ماخوفسكى: المصدر السابق، ص 96.

[3]ـ جلال يحي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999، ص 96.

[4]ـ عبد المنعم إبراهيم الجميعي: الدولة العثمانية والمغرب العربي، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، مدينة نصر، القاهرة، 2007، ص 5.

فاستجاب السلطان العثماني سليم الأول لطلب سكان مدينة الجزائر، وقام بإرسال أسطول بحري وألفي جندي إنكشاري وكمية من الذخيرة والعتاد والمدافع، كما أعطى للراغبين بالالتحاق نفس امتيازات الجند الانكشارية[1]، فجاء أربعة آلاف متطوع إلى الجزائر وقام السلطان العثماني بمنح خير الدين رتبة بيلرباي[2]، وأمر بإعطائه لقب باشا وأصبح خير الدين بذلك القائد الأعلى للقوات المسلحة في الجزائر وممثلا خاصا للسلطان العثماني وتم ضرب السكة باسم السلطان العثماني وذكر اسمه في الخطب، وبذلك تم ربط وإلحاق الجزائر رسميا بالخلافة العثمانية سنة 1518م، لتدخل الجزائر على إثرها مرحلة الحكم العثماني تحت قيادة خير الدين باشا الذي برهن من خلال ربطه للجزائر بالخلافة العثمانية على حنكته السياسية والعسكرية رغم الظروف التي كان يمر بها واستطاع المحافظة على الحكم[3].

[1]- أرجمنت كوران: السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970، ص ص 21- 22.

[2]- بيلرباي: وتعني أمير الأمراء، وكان حاكمها يعد الشخصية الثانية في الدولة العثمانية بعد السلطان، ينظر علي محمود عامر، محمد خير فارس: تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى، ليبية)، منشورات جامعة دمشق، 2000، ص 167.

[3]- أحمد زكريا الشلق: العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516- 1916، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2002، ص ص 39- 40.

مدخل :

شكلت البحرية الجزائرية في العهد العثماني الحلقة الأهم والأقوى في الجيش الجزائري خاصة وأنه في بداياته الأولى كان يتكون أساسا من رجال البحر العثمانيين الأوائل الذين دخلوا الجزائر مع مطلع القرن السادس عشر، ولهذا يمكن القول أن النواة الأولى للجيش الجزائري كانت بحرية، ويعود سبب اهتمام الجزائريين بالقوات البحرية إلى التطورات التي طرأت على ساحة البحر الأبيض المتوسط أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر وذلك لحماية أنفسهم من الاعتداءات الأوروبية الصليبية، فكان محتما عليهم إعداد أسطول قوي لمواجهة هذه الأخطار الخارجية ولهذا أولى الجزائريون من البداية اهتماما خاصا بالقوة البحرية[1]، وكان للبحرية الجزائرية هيئة تتمتع بنظم وقوانين تعلن الحرب علانية مع الدول التي لا تقبل دفع أداء معلوم سنوي[2]، وقد شهدت البحرية الجزائرية انضمام الكثير من البحارة من مختلف الأجناس حيث كان الأسطول الجزائري في عهده الأول يتكون من بحارة عثمانيين، إلا أنه مع أواخر القرن السادس عشر انضم إليه الأندلسيين والأهالي والعناصر المسيحية الوافدة من مختلف الدول الأوروبية وهو ما ساعد على ازدياد نشاط البحرية الجزائرية ونجاح عملياتها ضد الاعتداءات الأوروبية، كما أصبح النشاط الاقتصادي يقوم على مغانم الجهاد البحري من أسرى وإتاوات توفر الرزق لأغلب سكان المدن الساحلية وبذلك اكتسى النشاط البحري الجزائري صبغة سياسية وطابعا اقتصاديا[3].

---

[1]- جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص ص 32- 34.

[2]- أحمد السليماني: النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1993، ص 52.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 44- 45.

1ـ نشأة وتطور الأسطول الجزائري (1518ـ 1587م).

أ/ نشأة الأسطول الجزائري:

مر الأسطول الجزائري بتغييرات كبيرة على مختلف المستويات، فكانت النواة الأولى للأسطول الجزائري في العهد العثماني السفينتان اللتان جاء على متنهما عروج وإخوته في بداية القرن السادس عشر[1]، وفي سنة 1516م وضف حوالي 16 قطعة بحرية للانتقال من جيجل إلى مدينة الجزائر، وتذكر بعض المصادر أن عدد قطع الأسطول الجزائري قد بلغت حوالي 60 قطعة سنة 1530م، وبهذا فقد عرف الأسطول البحري تطورا ملحوظا منذ القرن السادس عشر[2]، ويجمع المؤرخون الأوروبيون والأمريكان على أن الأسطول الجزائري كان منظم أحسن تنظيم[3]، وقد كان الأسطول الجزائري يتألف من وحدات حربية متنوعة، بالإضافة إلى احتوائه على بعض السفن المعادية التي كان يتم أسرها أثناء المعارك، كما امتاز بنظام صارم وقيادات تتوزع المهام فيها على الشكل التالي :

1ـ الرئيس أو الريس: وهو القائد الأعلى للسفينة، حيث يخضع له جميع الذين على ظهرها.

2ـ الباش رئيس: نائب الرئيس، مهمته توزيع المهام على البحارة والسهر على الانضباط.

3ـ الخوجة: كاتب السفينة، ويعمل كموثق إذ يسجل مصاريف السفينة ويجرد الغنائم.

4ـ إمام المركب: وواعظه الديني، مهمته تلاوة القران وإمامة البحارة في الصلات[4].

---

[1]ـ وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 167.

[2]ـ صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514ـ 1830، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، ص 323.

[3]ـ مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2007، ص 69.

[4]ـ يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 149.

بالإضافة إلى هذه المناصب توجد مناصب أخرى يشرف أصحابها على توجيه السفينة وطلائها وحراستها[1]، ولقد لعب الأسطول الجزائري دور هام جدا في حماية البلاد، وتجلت أهميته كقوة عالمية في البحر المتوسط من خلال المواقف التي قام بها ومن أهمها مساعدة مهاجري الأندلس وحمايتهم، وكذا التصدي للحملات الصليبية الإسبانية، بالإضافة إلى مشاركته في حروب الخلافة العثمانية ضد التحالفات الأوروبية كمعركة لبانت 1571م[2].

إن الصراع الحاد بين الجزائر والدول الأوروبية جعل الجزائر تعمل على تقوية دفاعاتها البحرية، لذلك استحدثت أسطولا بحريا هاما طورته بمختلف الوسائل ما نتج عنه خلق أسطول كبير يمتاز بالقوة والصرامة[3]، استطاع تأديب الدول الأوروبية وهزم مختلف حملاتها التي شنوها على البلاد فأصبح مثالا في التاريخ البحري الحديث، وأعطى للجزائر مكانة وهيبة كبيرة وسط الساحة الدولية[4].

ب/ تطور الأسطول الجزائري "من حيث التركيبة وعدد السفن":

عرف الأسطول الجزائري تطورا من حيث التركيبة البشرية وعدد السفن، فمن حيث التركيبة كان الأسطول في البداية يتكون من بحارة عثمانيين لكن مع أواخر القرن السادس عشر انضمت إليه مجموعة من الجنسيات، أهمها الأندلسيين والأهالي والعناصر المسيحية من مختلف الدول الأوروبية الذين أخذوا في البداية كأسرى في المعارك الحربية وتمكنوا فيما بعد من الوصول إلى مناصب عليا في البحرية[5]، وقد كان يطلق عليهم اسم الأعلاج الذين أصبحوا يشكلون قوة فاعلة في الأسطول الجزائري.

---

[1]- يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، المرجع السابق، ص 150.

[2]- جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ص 34- 38.

[3]- يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص 178.

[4]- وليام سبنسر: المصدر السابق، ص ص 46- 47.

[5]- وليام سبنسر: المصدر نفسه ص ص 74- 75.

يقول هايدو عن الرياس الأعلاج "إنهم كانوا من أشد الأعداء للمسيحية"، وقد كان للأعلاج مساهمة إيجابية في تطوير القطاعات العسكرية من خلال التقنيات التي أدخلوها في صناعة السفن وهو ما ساهم في ازدهار البحرية الجزائرية وتطور أسطولها البحري، وقد كان الحكام الأوائل يتولون قيادة الأسطول بأنفسهم أمثال خير الدين، صالح رايس وعلج علي[1]، فاستطاع الأسطول الجزائري بفضلهم تحقيق نجاح كبير في فترة قصيرة[2].

أما من ناحية تطور عدد السفن فبالرغم من صعوبة تحديد حجم الأسطول الجزائري في العهد العثماني نظرا للحركة السريعة التي عرفها نتيجة للأعمال البحرية التي خاضها، لكننا سوف نذكر نماذج من إحصاءات لبعض السنوات داخل الجدول التالي:

السنة	عدد قطع الأسطول الجزائري
1516م	كان عدد قطع الأسطول حوالي 16 قطعة بحرية.
1530م	ارتفع عددها إلى 60 قطعة بحرية[3].
1536م	نزلت إلى 44 قطعة بحرية.
1540- 1544م	ارتفعت إلى 125 قطعة منها 65 قطعة حربية.
1568م	انخفض عددها إلى 40 قطعة حربية.
1572م	ارتفع عدد السفن إلى 50 قطعة حربية.
1580م	زاد العدد إلى 60 قطعة.
1581م	ارتفعت إلى 80 قطعة منها 50 سفينة حربية[4].

[1]- علج علي: من أشهر حكام الجزائر في الفترة العثمانية، أصله من كلابري الايطالية بصقلية ولد سنة 1500م، تولى حكم الجزائر سنة 1569م وتوفي سنة 1572م، ينظر ابن المفتي حسن بن رجب شاوش : تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص 41.

[2]- أرزقي شويتام: دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر، 2010، ص ص 43- 46.

[3]- صالح عباد: المرجع السابق، ص 323.

[4]- يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص ص 178- 179.

ج/ بناء السفن :

لقد كانت سفن الأسطول الجزائري تتكون من مصدرين، منها ما يأتي من المعارك الهبات والكثير منها كانت تبنى في الجزائر حيث كانت توجد ورشات لبناء السفن وتصليحها[1]، فيذكر وليام سبنسر في "كتابه الجزائر في عهد رياس البحر" أنه كانت تستخدم الطبقة العاملة الجزائرية في بناء السفن وإعادة تجهيز السفن التي تم الاستحواذ عليها، ونظرا لنقص اليد العاملة ذات المهارة كانوا يستخدمون الأسرى والمرتزقة كنجارين وصانعي مدافع وأسلحة نظرا للمهارة التي يتمتعون بها في هذا المجال[2]، فكان يوجد بميناء شرشال مخازن للخشب و ورشات لصناعة الحبال والأشرعة، حيث يشهد هايدو ومراقبون آخرون بتفوق بناء السفن الجزائرية في أحوض شرشال وبجاية ومراكز أخرى في القرن السادس عشر[3].

يقول المؤرخ الفرنسي هانري غارو" فزيادة على مصانع السفن في بجاية وشرشال وغيرهما فلقد كان في العاصمة خاصة مصنعين، في باب الوادي للسفن الكبيرة وفي باب عزون للصغيرة "، ويضيف نفس المؤرخ واصفا مميزات السفن الجزائرية فيقول" لقد كان من النادر أن يحرز النصارى نصرا كبيرا عليهم وذلك أنهم بمراكبهم السريعة المنخفضة التي تخفى عن الأنظار في البحر كانوا يطفون فجأة ويختفون عند اللزوم بنفس المفاجأة والسرعة اللتين يبرزان بهما للعيان"، وبهذا فقد تميزت السفن الجزائرية المصنوعة بالسرعة والانخفاض ولم تكن كبيرة الحجم فكان من الصعب على السفن المعادية إلحاق الضرر بها[4].

---

[1]- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 47.

[2]- وليام سبنسر: المصدر السابق، ص 76.

[3]- علي تابليت: العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776- 1830، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013، ص 131.

[4]- مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص ص 71- 72.

وقد كان لسفن الأسطول الجزائري أنواع مختلفة كل نوع له تسمية معينة حيث أنه من بين أشهر السفن في الفترة 1518- 1587م توجد الغليوطة، فرقاطة، بالإضافة إلى الزوارق المسلحة[1]، والملاحظ أن الجزائريين أعطوا أهمية كبيرة لسفنهم وعملوا باستمرار على تطويرها وتنظيمها[2].

[1]- جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500- 1830، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص ص 243- 244.

[2]- عزيز سامح الترـ: المرجع السابق، ص 149.

2ـ طائفة رياس البحر:

أ/ تعريفها :

تطلق هذه التسمية على كل من له صلة بالبحر حيث يلقب كل قائد لمركب بحري بلقب رايس أو قبطان رايس، وقد كون رياس البحر أهم فرقة عسكرية في الجيش الجزائري خلال العهد العثماني[1]، وكان رياس البحر في الجزائر في البداية يتكونون من الأتراك غير أنه مع نهاية القرن السادس عشر انضمت إليهم عناصر جديدة وهم الأندلسيون والأهالي والمسيحيين من مختلف الدول الأوروبية[2]، وقد كان لهذه الطائفة نظام خاص لربابنة البحر فلم يكونوا خاضعين بشكل كلي للنظام الإداري، ومع استقرار الأتراك في مدينة الجزائر تحول نشاط الرياس على البحر الأبيض المتوسط إلى مؤسسة بحرية لها نظام خاص بها، حيث تحكمت طائفة الرياس ابتدءا من تواجدها في الجزائر بالأمور بطريقة شديدة الانتظام من حيث التوظيف والتنظيم والتمويل والعمليات الحربية[3]، ولم يكن رجال الطائفة بحارة عاديين وهذا باعتراف الكتاب الغربيين أنفسهم حيث أبهرتهم حنكتهم وشجاعتهم ونظامهم، إذ يذكر هايدو أن السفن المسيحية عندما كانت تلتقي بهم تلجأ إلى الفرار، فيقول " كانوا يخرجون إلى البحر في فصلي الشتاء والربيع لا يعرفون الخوف والجزع أبدآ فعند خروجهم وتجولهم في مياه البحر الشرقية والغربية... وعلى الرغم من ضخامة سفننا المليئة بالرجال والعتاد وإذا التقت سفننا صدفة مع سفنهم الخفيفة والمدهونة بالزيت تلجأ مباشرة إلى الهروب"[4]، ويقول دوغرامون " لقد أخذت جرأة الرياس الجزائريين تتطور وتزداد باطراد... كما فاجئوا أكثر من مرة سكان شواطئ عنكونيا وسواحل بحر المانش وبحار إنكلترا، فمن ضفاف ماديرا على الأطلسي إلى صخور الجليد في إيسلاندا ما كان أحد يستطيع أن ينجو من ملاحقاتهم".

---

[1]ـ يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 152.

[2]ـ أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 42.

[3]ـ وليام سبنسر: المصدر السابق، ص 74.

[4]ـ عزيز سامح الترـ المرجع السابق، ص 149.

ويقول المؤرخ الفرنسي هانري غارو" إن الفلاحين على الشواطئ الأوروبية لم يعودوا يفلحون أراضيهم إلا وهم مرتعدون فقد أصبحوا يعيشون في قلق دائم"، وكل هذه الشهادات من قبل المؤرخين الأوروبيين إنما تبرز قوة الرياس والرهبة التي خلفوها داخل نفوس أعدائهم[1]، حيث ينقل لنا التمقروتي أثناء إقامته بمدينة الجزائر عام 1584م فيقول " ورياس الجزائر موصفون بالشجاعة وقوة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر، يقهرون النصارى في بلادهم فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيبة وأكثر رعبا في قلوب العدو"[2]، ويقول غرامون " إن رياس البحر الجزائريين لا نظير لهم في الحرب التي كانوا يخوضونها ولم يقتصر الأمر على أسطول الجهاد البحري والدفاع عن الأسطول بل لعبوا دورا في السياسة الأوروبية"[3].

ب/ نظام طائفة الرياس وطريقة الترقية :

يختلف تنظيم طائفة رياس البحر عن تنظيم الجيش البري وذلك يرجع للظروف التي تكونت فيها هذه الطائفة، فالمحرك الأساسي لحركتهم هو رد الاعتداءات المسيحية وإعانة مسلمي الأندلس، وقد تطورت هذه الطائفة بعد استقرار الحكم العثماني في الجزائر حيث شكلت أقوى دعامة للدولة الجزائرية في تلك الفترة[4]، وكان الرياس يوظفون من ثلاثة مصادر وهي المرتزقة، المسيحيون، المسلمين، وكان للطائفة كأي مؤسسة بحرية رتب وطريقة للترقية تتدرج من خادم السفينة ثم يترقى إلى بحار للوصول إلى رتبة الكابتن، وكان الإجراء العادي للكابتن أن يختاره مالكو السفن لكن قبل تعيينه كقبطان[5]، عليه أن يجتاز امتحانا يجريه عليه ديوان الرياس وهو

---

[1]- مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص ص 70- 72.

[2]- عائشة غطاس وأخريات: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص ص 96- 97.

[3]-H.D.DE GRAMMONT, Histoire D'ALGER ,SOUS la DONA IMATION TURQUE (1515_1830), Ernest LEROUS, PARIS, FRANCE, 1887, p19

[4]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي: المرجع السابق، ص ص 125- 129.

[5]- قبطان أو قبودان باشا: القائد العام للقوات البحرية العثمانية، ينظر مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 44.

مجلس حكم يتكون من الكابتانات وهو مخصص لأقدم الرياس[1]، ويؤكد التمقروتي أن شهرة قباطنة الجزائر تعود إلى النظام والالتزام الذي يعتمدونه فكان النظام محكما على متن السفينة، ونظرا لموقع الجزائر الهام ومواجهاتها المستمرة مع المسيحيين كانت التدريبات جد صارمة[2]. وقد صور دوغرامون صورة هذا النظام لدى طائفة الرياس إذ يقول "إن الرايس يعتبر القائد الأوحد على متن السفينة التي يقودها حيث يخضع له جميع الذين على ظهر السفينة بما فيهم الإنكشاريون"، وقد كانت السفن بعد كل خروج إلى البحر تنظف وتلمع وتشحم حتى تصبح كأنها جديدة، كل هذا التنظيم والتسيير جعل من السفينة الجزائرية أداة حرب جد متفوقة[3]، ويذكر حمدان خوجة في كتابه" المرآة " واصفا رياس البحر بالذكاء واستعدادهم للتكيف مع الحياة البحرية فيقول " كان الجزائريون يجهزون سفنا صغيرة تشبه سفن الإسبانيين وكانوا يراقبون السواحل... وكانت قمم الجبال هي بوصلتهم التي تقودهم في مسيرهم وتساعدهم في بلوغ الهدف"[4].

ج/ أشهر رياس البحر :

اختلف عدد رياس البحر حسب الظروف فأحيانا يكثرون وأحيانا يقلون، ومن أشهرهم خير الدين بربروس، سنان باشا، علج علي، حسن باشا... وغيرهم[5]، وعن عددهم فقد أحصى هايدو 35 قبطانا سنة 1581م كل واحد له سفينة، منهم 12 من الجزائريين[6]، وبأواخر القرن السادس عشر عندما كان هايدو في مدينة الجزائر كان الأعلاج يشكلون

---

[1]- وليام سبنسر: المصدر السابق، ص 74.

[2]- عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 97.

[3]-H.D.DE GRAMMONT, OP-CIT, p 19.

[4]- حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 79.

[5]- عزيز سامح الترا: المرجع السابق، ص 20.

[6]- علي تابليت: المرجع السابق، ص 133.

حوالي ثلثي الشخصيات القيادية في الأسطول فمن جملة 36 رايس يقودون سفن الأسطول كان 22 منهم من الأعلاج ومن أبرزهم علج علي[1].

د/ دور طائفة الرياس:

لقد كان لهذه الطائفة دور أساسي في تاريخ إيالة الجزائر وقد عرفت طائفة الرياس أحسن أوقاتها خلال القرن السادس عشر، حيث سيطرت على المجال السياسي وذلك ببروز بيلربايات من الرياس أمثال خير الدين، صالح رايس وعلج علي، وقد عرفت طائفة الرياس تحالفا مع الدولة العثمانية في مواجهة الخطر الصليبي فكان لرياس البحر الجزائريين دور كبير في العديد من معارك الدولة العثمانية أهمها معركة ليبانت سنة 1571م[2].

وقد تمتع رياس البحر بمكانة مرموقة واحترام كبير داخل المجتمع وهذا راجع للانضباط الذي تميزوا به، كما أنهم كانوا يشكلون مصدر رزق للتجار الذين ينتظرون عودتهم للاستفادة من الغنائم التي يحصلون عليها أثناء رحلاتهم البحرية[3]، يقول هايدو" عندما كان الرياس يعودون من غزواتهم كانت المسرة والفرحة تعم الجميع فالفائدة كانت تعمهم جميعا خاصة الفقراء منهم"[4].

[1]- جون ب وولف: الجزائر وأوروبا 1500- 1830، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 180- 185.

[2]- عائشة غطاس: المرجع السابق، ص ص 101- 103.

[3]- أرزقي شويتام: المرجع السابق، ص 44.

[4]- عزيز سامح الترا: المرجع السابق، ص 150.

3ـ السياسة الإستراتيجية للجزائر في الجهاد البحري :

حظيت الدولة الجزائرية بعد التحاقها بالخلافة العثمانية بمكانة كبيرة، حيث شهدت تطورا كبيرا في عهد الحكام البيلرباي الذين كان أغلبهم من رياس البحر، فجعلوا من الجزائر مركزا عسكريا وميناءا هاما تنطلق منه غزوات الرياس البحريين ضد شواطئ البلدان المعادية للجزائر، فمنذ استقرار الأتراك بالجزائر أصبح رياس السفن الحربية مسئولون عن حراسة المدينة، فشكلت مجموعة الرياس قوة دفاعية هجومية هامة أجبرت الدول على احترام الدولة الجزائرية ومراعاتها[1]، فاهتموا ببناء قوة عسكرية بحرية كأداة لفرض إرادتها على الخصوم وتتمثل في الأسطول البحري الذي شكل مصدر قوة الجزائر في العصر الحديث، فبرز بحارة كبار ذاع صيتهم في كل أنحاء العالم أمثال صالح رايس وعلج علي، وانتقلت الجزائر من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم وأخذت قواتها البحرية تضرب الأوروبيين في عقر دارهم[2]. وقد فرضت مجموعة الأحداث التي تعرضت لها الجزائر عبر سنوات التكوين والصراع المرير إتباع سياسة إستراتيجية في عملياتها البحرية لتمتين الجهة الداخلية ومواجهة الأخطار الخارجية، ويمكن استخلاص إستراتيجية الجزائر في الجهاد البحري في العناصر التالية:

1ـ تكوين تحالف مع الدولة العثمانية هدفه تنسيق الجهد العسكري على كافة المستويات.

2ـ الاضطلاع بواجب الجهاد في البحر بصورة رئيسية فكانت الجزائر تقود الجهاد على عدة جبهات كالأندلس والسواحل الجنوبية لأوروبا وشمال إفريقيا، ونظرا للموقع الجيو استراتيجي للجزائر فقد أخذت على عاتقها الجهاد ضد إسبانيا بالدرجة الأولى وضد كل الدول التي ترفع راية الصليبية ضد الإسلام والمسلمين[3].

---

[1]ـ مبارك بن محمد الهلالي الميلي: المرجع السابق، ص، ص 122، 127.

[2]ـ يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500ـ 1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 24ـ 26.

[3]ـ بسام العسلي: الجزائر والحملات الصليبية 1547ـ 1791، ج2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980، ص 171.

ولقد عدد مولاي بالحميسي مجموعة من المميزات التي اعتمدها رياس البحر كإستراتيجية أساسية في الأسطول، من بينها الاعتماد على السفن الخفيفة والتخلي عن السفن الضخمة البطيئة التي لا تصلح للمناورة أثناء المعركة، والتركيز على عنصر السرعة والاهتمام بالكفاءة الهجومية التي يجب أن تكون أعلى من كفاءة العدو سواء تعلق الأمر بالرجال أو السلاح[1]. كما وضعت الإيالة نظام بحري يمكن البحارة من الارتقاء إلى درجة أميرال وكل هذا تشجيعا للطامحين في امتهان هذه الحرفة لكي يكثر إقبال البحارة للانضمام للأسطول والمشاركة في عمليات الجهاد التي يخوضها[2]، فقد ضم الأسطول بحارة من مختلف الجنسيات حيث وجدوا الترحاب والتسامح من قبل البحارة الجزائريين ما دفع بالبحارة الأوروبيين للعمل في البحرية الجزائرية وقد عرفوا بالأعلاج، كما اعتمد البحارة الجزائريين على استخدام الاستراتيجيات الحربية الملائمة أثناء المعارك البحرية مثل الالتجاء إلى الغارات المفاجئة واستعمال بنادق البارود السريعة الطلقات والمدافع الخفيفة في هجماتهم، بالإضافة إلى التعويل على مهارة البحارة وكفاءتهم الحربية ومقدرتهم القتالية العالية لتحقيق انتصارات حاسمة، وقد ساعد الجهاد البحري الذي تزعمته الجزائر في القرن 16م على توحيد صفوف المسلمين بالسواحل تحت راية واحدة لمواجهة الغزو الصليبي، حيث عول الجهاد البحري على جهود المتطوعين من الأهالي والأتراك والأندلسيين[3]، ومع بداية القرن السادس عشر طور حكام الجزائر دفاعات المدينة بدرجة عالية من المهارة العسكرية فعملوا على إنشاء قواعد بحرية محصنة يصعب اختراقها وجعلوا من هذه القواعد ملجأ لحماية سفنهم ومنطلقا لعملياتهم البحرية فألقوا بظلهم على البحر الأبيض المتوسط[4].

---

[1]- صالح عباد: المرجع السابق، ص 321.

[2]- حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 80.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص ص 190- 192.

[4]- وليام سبنسر: المصدر السابق، ص ص 50- 52.

وقد انعكست هذه السياسة الإستراتيجية على مستوى العمليات بمجموعة من الظواهر أهمها تنسيق الجهد العسكري في العمليات المشتركة، حيث عمل الأسطول الجزائري في مناسبات كثيرة على دعم الأسطول العثماني فتولى قادة الجزائر قيادة وزارة البحرية، كما شاركت السفن الجزائرية في عدة معارك مثل معركة ليبانت 1571م، وبالمقابل قامت الخلافة العثمانية بتقدم للجزائر ما تحتاجه من عتاد حربي وقوة بشرية فاستطاعت الجزائر مجابهة الحملات الصليبية وإحراز الانتصارات عليها[1]، كما شنت غارات على المدن الساحلية للصليبيين، وقد كان لفشل الحملات الأوروبية المستمر على الجزائر أثر كبير في السياسة الإستراتيجية الجزائرية التي اكتسبت ثقة كبيرة بسبب تفوقها البحري وهو ما جعل الدولة الجزائرية تعتمده كعامل حيوي في سياستها الخارجية، فعمدت في جهادها البحري ضد أوروبا على منع أي تجمع أوروبي للإطاحة بالجزائر، فكما هو متوقع من دولة قوية تأكدت مكانتها كدولة بحرية أن تطبق سياسة خارجية ناجحة بالاعتماد الكلي على أسطول الرياس القوي الذي فرض السلطة البحرية الجزائرية على الدول الأوروبية[2]، أمام عجز سياستها الخارجية في مجابهة هذه القوة رغم محاولاتها المتعددة، لذلك فقد بنيت إستراتيجية الجزائر اتجاه الدول الأوروبية على عدة أسس حددت طبيعة الصراع الذي تجابهه الجزائر والذي تشابكت فيه العوامل الجيو إستراتيجية والجغرافية والاقتصادية والسياسية لتشكل بمجموعها خصوصية الجهاد البحري الجزائري[3].

[1]- بسام العسلي: الجزائر والحملات الصليبية، المرجع السابق، ص ص 172- 173.

[2]- وليام سبنسر: المصدر السابق، ص ص 162- 167.

[3]- بسام العسلي: المرجع نفسه، ص 177.

1ـ مشروع إنقاذ أهالي الأندلس :

كان سقوط الأندلس في يد الإسبان أواخر القرن الخامس عشر إيذانا ببدء حركة الجهاد البحري الإسلامي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، حيث مثل سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس على أيدي الإسبان نهاية الصراع في شبه جزيرة أيبيريا بين المسلمين والكاثوليك وبداية مرحلة الجهاد البحري الإسلامي بين الطرفين في الحوض الغربي للمتوسط، فقد عمل الإسبان على إزالة كل أثر إسلامي وإرغام المسلمين على اعتناق النصرانية، وهو ما دفع الأندلسيين للفرار إلى الأقطار المغربية الإسلامية تمسكا بدينهم ومحاولة النجاة من الأوضاع المزرية التي كانوا يعانونها، وقد سجل التاريخ أن الإسبان كانوا يتعقبون المسلمين الفارين ويغرقونهم بأمتعتهم في البحر، وهنا بدأت أصوات استغاثة هؤلاء المسلمين تصل إلى البلدان المغربية[1]، فبدأ الصدام بين المسلمين في شمال إفريقيا والقوى الأوروبية المعادية في إطار ما يعرف بالجهاد الإسلامي حيث كانت دول شمال إفريقيا في معظمها تحت غطاء الدولة العثمانية، فبرزت أسماء لرجال في الجهاد البحري ارتبطت بالجزائر في القرن السادس عشر مثل عروج، خير الدين بربروس، حسن باشا، وصالح رايس[2]، فقد شكلت الجزائر قوة بحرية هامة في حوض المتوسط في القرن السادس عشر حيث استكملت وحدتها وحررت كل مواقعها التي احتلها الإسبان باستثناء وهران والمرسى الكبير اللذان تأخر تحريرهما[3]، فلعبت الجزائر دورا متميزا في مساهمتها في دعم المورسكيين كما أن المورسكيين كانوا يتتبعون باهتمام مدى النجاح الذي حققه العثمانيون خاصة بالجزائر التي أصبحت حصنا منيعا يلتجأ إليه المهاجرون الأندلسيون[4]، ووجود خير الدين بيلرباي

---

[1]ـ رأفت الشيخ: تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 1994، ص ص 365ـ 369.

[2]ـ رأفت الشيخ: المرجع نفسه، ص ص 377ـ 384.

[3]ـ مفيد الزيدي: موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2003، ص 96.

[4]ـ عبد الجليل التميمي: الدولة العثمانية وقضية المورسكيين الأندلسيين، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1989، ص 29.

الجزائر ومدى النجاح الذي حققه في ملاحقته للإسبان وطردهم من حصن البنيون 1529م وتشجيعه بقوة لحركة إنقاذ مسلمي الأندلس الذين قوية قلوبهم بعد سماع انتصاراته وأعلنوا الثورة[1]، فأمر خير الدين محمد رايس بالخروج على رأس أسطول مكون من 36 سفينة لنصرة الثائرين ودعمهم، ويذكر خير الدين في مذكراته أن أسطوله قد قام بواحد وعشرين حملة على إسبانيا في كل واحدة كان يقوم بإنقاذ ألاف من المسلمين ونقلهم إلى سواحل شمال إفريقيا، وأنه كان يتولى قيادة الأسطول بنفسه في معظم هذه الحملات بالإضافة إلى آيدين رايس وسنان رايس الذين قادوا الأسطول في مرات عديدة[2]، فقد ساعد خير الدين الكثير من الأندلسيين المطرودين من إسبانيا بنقلهم إلى البلاد المغاربية[3]، حيث هاجم السواحل الشرقية لإسبانيا وقام بجمع على سفنه الراغبين في الهجرة، ومن أهم الغارات التي نظمها خير الدين على السواحل الإسبانية غارة وقعت سنة 1529م إذ أرسل نائبيه آيدين رايس وصالح رايس إلى المياه الإسبانية واستطاعا أن يجمعا 600 موريسكي، ويذكر لنا المؤرخ كاتب شبلي أن خير الدين تمكن خلال سبع سنوات أن يوجه 36 بارجة إلى السواحل الإسبانية لنقل سبعين ألف موريسكي خلال سنة 1529م[4]، فقد أعد ما لديه من سفن لنقل هؤلاء المسلمين من السواحل الإسبانية إلى السواحل الإفريقية[5]، كما تمكن البحارة الجزائريون في الفترة الممتدة من 1528 إلى 1584م من شن ثلاثة وثلاثين غارة بحرية ناجحة على السواحل الإسبانية أنقذوا أثناءها كثيرا من الأندلسيين المهددين بالتنصير أو الموت، أثبت من خلالها رياس البحر الجزائريين مدى كفاءتهم ومهارتهم العالية في مهاجمتهم للسواحل الإسبانية[6]، وإنقاذهم للأندلسيين ومن بينهم آيدين رايس وصالح رايس الذين نجحوا في حملتهم عام 1529م،

[1]- عبد الجليل التميمي: المرجع السابق، ص 29.

[2]- خير الدين بربروس: المصدر السابق، ص 158.

[3]- محمود السيد: تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2006، ص 191.

[4]- محمد زروق: الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16- 17، إفريقيا الشرق، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص 86.

[5]- عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص 47.

[6]- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص 44.

والعودة باللاجئين الأندلسيين إلى الجزائر رغم اعتراض السفن الإسبانية لهم، كما نشير إلى العمليات التي قام بها كل من حسن فنزيانو ومراد رايس فقد نقل حسن فنزيانو عام 1584م حوالي ألفين من مسلمي الأندلس في جهة أليكانت، في الوقت الذي حمل فيه بحارة جزائريون آخرون سكان كولونيا على ظهر سفنهم إلى الجزائر عام 1585م ومهاجمة سواحل لورقة وقرطاجة في نفس الفترة[1]، واعتمادا على المعلومات التي يقدمها مؤلف" غزوات عروج وخير الدين" فان الأولوية بالنسبة لرياس البحر الجزائريين كانت تقديم المساعدة لمسلمي الأندلس ونقلهم إلى الجزائر[2]، ويذكر حمدان خوجة في كتابه" المرآة " أن الباب العالي قام بإرسال خير الدين باشا سنة 1530م لنجدة مسلمي الأندلس بعدما ازدادت عمليات الاضطهاد التي يتعرضون لها[3] من قبل شارل الخامس، فمضى خير الدين ومعه 32 سفينة وبلغ السواحل الإسبانية التي التجأ إليها المسلمون وقام بحملهم على سفنه حتى إذا ما أوصلهم إلى الجزائر عاد إلى إسبانيا ليأتي بغيرهم وكرر غدوه ورواحه بين الساحلين سبع مرات متوالية حتى تمكن من إنقاذ عدد كبير من الأندلسيين ونسائهم وأطفالهم ونزلوا بمدينة الجزائر وسهل متيجة وعمروا مدنا مثل البليدة ودلس[4]، ومن الرياس الذين لعبوا دورا كبيرا في مساعدة مسلمي الأندلس نجد درغوث باشا وعلج علي، فقد ساهم درغوث باشا في إنقاذ عدد كبير من الأندلسيين حيث قام بغارة كبيرة على الشواطئ الإسبانية سنة 1559م واستطاع أن ينقل معه ألفين وخمسمائة موريسكي[5].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص 44.

[2]- عبد الرحمان المودن، عبد الرحيم بنحادة : العثمانيون والعالم المتوسطي، مقاربات جديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الدار البيضاء، المغرب، 2003، ص 49.

[3]- حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 69.

[4]- بسام العسلي: خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 126.

[5]- محمد سي يوسف: أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص،ص 48، 96، 97.

إن هذه الأعمال البطولية لرياس البحر المسلمين في حركتهم الجهادية في شمال إفريقيا قد شجعت مسلمي الأندلس وأثارت حفيظتهم على المسيحيين فسادت إرهاصات لثورة المسلمين في غرناطة عام 1568م، وقد تزامن تعيين علج علي باشا في الجزائر مع اشتعال الثورة[1]، حيث هيأ أزيد من 70 ألف من المحاربين وكمية كبيرة من البارود لتوجيهها إلى إسبانيا وخلال سنة 1569م تم إرسال حوالي 40 سفينة محملة بالمدافع والأسلحة لدعم الثوار في الأندلس[2]، وقد عزم علج علي أن يجدد هذه الإعانة واستعد أن يسير بنفسه إلى الأندلس إلا أنه تم استدعاءه من قبل السلطان سليم الثاني ليعينه على دفع الهجوم المسيحي[3]، ونتيجة للأعمال التي قام بها علج علي أصبح من أهم رياس البحر الجزائريين حيث سجلت له عدة انتصارات في البحر أهمها إنقاذه بعض المتخلفين من المسلمين بسواحل الأندلس وإنزاله للأسلحة وبعض المتطوعين على الساحل الإسباني في أوائل ولايته[4].

وبهذا فقد كانت محنة مسلمي الأندلس والرغبة في تلبية ندائهم لإنقاذ ما يمكن منهم محكا لإفراز الرجال والطاقات التي برزت من أجل التخفيف من أثار هذه النكبة ومساعدتهم قدر المستطاع حيث برز في ظل هذه الظروف الصعبة مجموعة من رياس البحر الذين اكتسبوا شهرة واسعة في جميع المدن الساحلية بتكبدهم للمشاق من أجل إنقاذ الأندلسيين بنقلهم إلى دار الإسلام[5]، ومن بين هذه الأسماء نجد عروج ، خير الدين، محمد رايس، آيدين رايس، صالح رايس، درغوث باشا وعلج علي[6].

---

[1]- محمد سي يوسف: المرجع السابق، ص 124.

[2]- عبد الرحمان المودن، عبد الرحيم بنحادة : المرجع السابق، ص ص 76- 77.

[3]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي: المرجع السابق، ص 105.

[4]- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 95.

[5]- جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا1619- 1830، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص21.

[6]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، ص 187.

2ـ مشروع صد الحملات الصليبية خاصة الاسبانية (1518ـ 1587م):

لقد أدى استقرار الأتراك في الجزائر إلى تغيير مجري تاريخ شمال إفريقيا حيث أصبحت الجزائر تمثل سلطة كبيرة في المغرب العربي فقد شهدت تحولات كبيرة جعلت منها مدينة مشهورة بفضل النشاط البحري لرياس البحر الجزائريين[1]، فحظيت بفضلهم على قوة كبيرة في البحر الأبيض المتوسط حيث كان الاهتمام الأول للأتراك في الجزائر إنشاء الحواجز وبناء القلاع وذلك نظرا للاعتداءات الأوروبية التي كانت تواجهها وهي وضعية أبقت المدينة في حالة تأهب وأعطتها طابعا عسكريا بسبب نظام دفاعاتها خاصة من جهة البحر[2]، فبدأت تبرز ملامح دولة الجزائر الحديثة، حيث عمل رجال البحر أمثال خير الدين، حسن أغا، صالح رايس، على التصدي للاعتداءات المتتالية على الجزائر[3]، فقد تكالبت الدول الأوروبية ضدها في القرن السادس عشر وقادت حملات عسكرية ضخمة خاصة في عهد شارلكان الإسباني، وكانت الجزائر بخلاف باقي بلدان المغرب العربي الأخرى أكبر هدف لمعظم هذه الحملات التي قادها أباطرة وملوك ورهبان كبار أمثال شارلكان[4]، والكاردينال خيمينيس الطليطلي وأندري دوريا، بيدرو نافارو، دون دييغو ودون دو مونكاد.

ومن أمثلة الحملات الأوروبية على الجزائر والتي استطاعت الجزائر أن ترد معظمها:

1ـ حملة دون مونكاد على مدينة الجزائر 1519م.

2ـ حملة أندري دوريا على مدينة شرشال 1531م.

3ـ حملة شارلكان على مدينة الجزائر 1541م وكانت حملة فاشلة[5].

---

[1]ـ العربي إيشبودان: مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، ترجمة جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص 15.

[2]ـ العربي إيشبودان: المرجع نفسه، ص ص 55ـ 57.

[3]ـ دلندة الأرقش وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال مصادره، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003، ص ص 40ـ 41.

[4]ـ شارلكان: هو الإمبراطور شارل الخامس حكم إسبانيا عام 1516م، ينظر مولود قاسم، المرجع السابق، ص 138.

[5]ـ يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا، المرجع السابق، ص 16.

4ـ حملة البابا بيوس الرابع الصليبية على الجزائر 1560م.

5ـ غارة خوان فاسكون الإسباني ضد مدينة الجزائر عام 1567م بتأييد ملك إسبانيا[1].

إن كل هذه الحملات تدل على المشروع الأوروبي الإسباني الصليبي الضخم من أجل احتلال الجزائر التي بقيت صامدة لمدة طويلة ضد هذه الحملات والتي استطاعت أن ترد معظمها بفضل قوة وشجاعة قادتها البحريين، وسوف نستعرض أهم الحملات بالتفصيل:

في سنة 1516م أرسل الكاردينال خيمينيس قوة بحرية مؤلفة من 35 مركبا بقيادة الدون دييغو الذي استطاع عروج هزيمته[2]، ورغبة في القضاء على حكم الأتراك في الجزائر وانتقاما لهزيمة دون دييغو أمر شارلكان هوجو مونكاد باحتلال الجزائر فغادر صقلية عام 1519م[3]، وأنزل قواته غرب وادي الحراش وقد انتظر لمدة ستة أيام لوصول قوات المحليين ثم هاجم المدينة لمدة يومين وفي اليوم الثالث بدأت ملامح التعب تظهر على القوات الإسبانية فأرسل خير الدين فرقة مؤلفة من 500 شخص متظاهرا بنية مهاجمة السفن الإسبانية فانخدعوا بذلك وهاجموا الفرقة تاركين مواقعهم الدفاعية، فهاجمهم الأتراك وهزموهم والذين هربوا في البحر حطمتهم العاصفة فزادت شهرة خير الدين بعد هذا الانتصار[4]، حيث قام بعدها بالقضاء على الحامية الإسبانية الموجودة في حصن البنيون الذي استولى عليه الإسبان سنة 1510م وشيدوا قلعة البنيون التي استمر وجودها 18 سنة إلى أن هدمها خير الدين سنة 1529م[5].

---

[1]ـ يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا، المرجع السابق، ص 17.

[2]ـ عزيز سامح الترـ: المرجع السابق، ص 74.

[3]ـ Fray Diego de HAEDO, ABBE de FROMESTA : Histoire des ROIS D'ALGER, TRADUITE et ANNOTEE par : H.D.DE GRAMMONT, ADOLPHE JOURDAN, LIBRAIRE EDITEUR, Alger, 1881, p 36.

[4]ـ عزيز سامح الترـ: المرجع نفسه، ص 75.

[5]ـ مؤلف مجهول: سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر، تحقيق وتقديم عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص ص 40ـ 43.

وقام بإنشاء ممر صخري يربط القلعة بالميناء مشكلا ميناءا لحماية السفن[1]، وبعد هذه الانتصارات التي حققها خير الدين واستيلائه على الحصن شرعت القيادة الإسبانية بوضع خطط للاستيلاء على مدينة الجزائر واختير الأميرال أندري دوريا الإيطالي المتحالف مع إسبانيا لقيادة الحملة، حيث انطلق من ميناء جنوه الإيطالية سنة 1531م على رأس 20 باخرة حربية واختار مدينة شرشال لنزول قواته، لكن المدينة ردت الهجوم واشتبكت مع القوات المسيحية بينما كانت مدفعية المدينة تقصف بواخر دوريا، فولى الأميرال هاربا نتيجة خسارته في المعركة تاركا وراءه عدد كبير من الجنود الذين وقعوا في الأسر[2].

نظرا للانتصارات التي حققها خير الدين في الجزائر استدعاه السلطان العثماني ليعينه وزيرا للبحرية العثمانية وقبل رحيله استخلف مكانه لحكم الجزائر حسن أغا، فضن الإسبان أن رحيل خير الدين سيسهل عليهم احتلال الجزائر وطرد خلفائه منها فأعدوا حملة كبيرة استغرق إعدادها وتجهيزها عدة أشهر شاركت فيها معظم بلدان أوروبا وقادها الملك شارلكان بنفسه الذي نزل في واد الحراش، لكن سوء الحظ رافق هذه الحملة حيث هطلت أمطار وثلوج عزلت رجال المدفعية عن مساعدة بحريتهم كما هبت عاصفة قوية على المرفأ خربت معظم سفنهم فاستغل الجزائريون الفرصة وهاجموا العدو فاضطر شارلكان للانسحاب، وبهذا فقد ثبتت الدولة الجديدة أمام تحد كبير وأصيبت أوروبا والعالم المسيحي بخيبة أمل نتيجة دمار الجيش وتكونت لديهم قناعة بأن الجزائر مدينة لا تقهر، فكان لهزيمة شارلكان أمام مدينة الجزائر صدى كبير في كامل بلدان حوض البحر المتوسط مما أكسب الجزائر شهرة واسعة[3].

---

[1]ـ خليل إينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبان، 2002، ص 59.

[2]ـ خير الدين بربروس: المصدر السابق، ص ص 148ـ 150.

[3]ـ وليام سبنسر: المصدر السابق، ص ص 46ـ 47.

وبالإضافة إلى صد العدوان الخارجي عمل رياس البحر الجزائريون على تحقيق الوحدة الداخلية وطرد الإسبان من الجزائر، حيث عرفت الجزائر المجاهد صالح رايس الذي اشتهر بالكفاءة والشجاعة والذي عمل على طرد الإسبان وإخراجهم من مواقعهم التي احتلوها فوق أرض الجزائر، فقرر تحرير بجاية من أيدي الإسبان فتحرك لتحريرها عام 1555م على رأس جيش مكون من 30 ألف مقاتل[1]، وقام بحصار المدينة وقصفها إلى أن استسلم قائد الحامية الذي سمح له صالح رايس بالعودة إلى إسبانيا، وقد أدى تردد صدى انتصارات المسلمين في بجاية إلى ظهور موجة من الهيجان داخل الأمم الأوروبية خاصة إسبانيا ولتهدئة الوضع تم تحميل قائد الحامية المسؤولية وأصدر أمر إعدامه[2]. وفي عام 1560م تجسدت مشاريع البابا بيوس الرابع والتي تمثلت في تنظيم هجومات واسعة النطاق ضد الجزائر، فتجمعت في موانئ إسبانيا وصقلية وإيطاليا قوات هائلة وكانت خطة هذه القوات تسير وفق مرحلتين، المرحلة الأولى تتمثل في الاستيلاء على طرابلس الغرب ووضع أسطول يمنع وصول الإمدادات من القسطنطينية إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط وبذلك تصبح الجزائر في عزلة وعاجزة عن مواجهة هذه القوات المسيحية بمفردها وبذلك يتحقق الهدف الثاني من الخطة وهو الاستيلاء على الجزائر، فعين الدوق مدينا سيلي قائدا عاما للحملة التي كانت تشمل عشرة ألاف رجل و79 باخرة فتحركت وحدات الأسطول المسيحي عام 1560م لكن الإمدادات وصلت من القسطنطينية فانتهت المحاولة بهزيمة شنعاء فقد فيها المسيحيون أحسن بواخرهم الحربية[3] .

[1]- بسام العسلي: الجزائر والحملات الصليبية، المرجع السابق، ص ص 77- 79.

[2]- بسام العسلي: المرجع نفسه، ص ص 80- 81.

[3]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي: المرجع السابق، ص 96.

لقد تجمعت ظروف عديدة لكي تحقق نجاح الجزائر في صد العدوان الخارجي كان أهمها كفاءة رياس البحر الجزائريين والدور الذي قاموا به في رد العدوان واسترجاع معظم المراكز المحتلة على الساحل[1]، فاكتسبت الجزائر بذلك مكانة خاصة جعلتها بمثابة القلعة الأمامية في مواجهة المد الصليبي فاستحقت بذلك تسمية دار الجهاد الصامدة في وجه القوة المسيحية المعادية حسب تعبير أغلب من كتبوا في تلك الفترة[2].

[1]- ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 193.

[2]- MOULAY BELHAMISSI : MARINE ET MARINS D'ALGER (1518 _1830), Tome 2, FACE A L'EUROUPE, BIBLIOTHEQUE NATIONALE D'ALGERIE, ALGER, 1996, p 5.

3ـ تحرير الجزائر لتونس وطرابلس ومحاولة ضم المغرب الأقصى:

بعد تمكن الجزائر من بناء قدرتها الذاتية من خلال الأحداث الكبيرة التي مرت بها أخذت على عاتقها الخوض في المعارك الجهادية، فكان المغرب العربي الإسلامي الذي كان تحت رحمة العدوان الصليبي هو الميدان الأول للجهاد فقامت بالعديد من المحاولات من أجل تحرير هذه البلدان وضمها تحت راية الخلافة العثمانية[1].

أ/ تحرير تونس سنة 1574م:

شهدت تونس العديد من المحاولات من أجل تحريرها من طرف رياس البحر الجزائريين حيث فكر خير الدين بعد الانتصارات المتتالية التي حققها في تحرير تونس التي كان حاكمها مولاي حسن متواطئا مع الإسبان، فسار إليها خير الدين سنة 1534م وتمكن من احتلال حلق الوادي ودخل تونس لكن مولاي حسن التجأ للإسبان فاستعادها شارلكان سنة 1535م[2]، وبعد هذه الهزيمة التي تعرض لها خير الدين في تونس أصبح هناك أكثر من دافع لتحرير هذه الرقعة التي أصبحت تكتسي أهمية خاصة بعد تحرير طرابلس عام 1551م واستنجاد أهالي القيروان بدرغوث باشا الذي نجح في أخذ قفصه سنة 1556م والقيروان سنة 1557م وضمها إلى طرابلس وولى عليها حيدر باشا عام 1558م[3]، وبذلك مهد للحملة التي قادها علج علي سنة 1569م حيث صمم علج علي على ضرورة تصفية القواعد الإسبانية في تونس، فجهز جيش مؤلفا من نحو سبعة ألاف مقاتل وتوجه نحو تونس حيث استطاع هزيمة السلطان الحفصي وقضى على القواعد الإسبانية باستثناء حلق الوادي[4].

---

[1]ـ بسام العسلي: الجزائر والحملات الصليبية، المرجع السابق، ص ص 97ـ 98.

[2]ـ محمد فريد بك المحامي: المصدر السابق، ص ص 232ـ 233.

[3]ـ ابن أبي دينار محمد أبي القاسم الرعيني: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص ص 197ـ 198.

[4]ـ علي محمد محمد الصلابي: المرجع السابق، ص 235.

الذي ظل بيد الإسبان ثم عاد علج علي إلى الجزائر بعد أن ترك في تونس حامية عسكرية[1]، وقد حاول الإسبان مهاجمة تونس بعدها حيث عاد الحكم الإسباني إليها سنة 1573م إلى أن تم تحريرها نهائيا بفضل الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا وبمساعدة قوات تركية من طرابلس الغرب والقيروان، كما شارك أيضا الأسطول الجزائري بقيادة علج علي في هذا الحصار وبعد أسابيع استسلمت القلعة[2]، وتم القضاء على الإسبان واستردت تونس بصفة نهائية عام 1574م وأصبحت ولاية تابعة للدولة العثمانية[3].

ب/ تحرير طرابلس سنة 1551م :

أما طرابلس فقد احتلها الإسبان سنة 1510م ومنحوها لفرسان القديس يوحنا، فاستنجد السكان بالعثمانيين فقام السلطان العثماني سليمان القانوني سنة 1551م بإعداد حملة بحرية كبيرة تتألف من 120 باخرة و50 مركبا لدرغوث وأسند قيادتها إلى سنان باشا الذي كان برفقته كل من درغوث باشا وصالح رايس بيلرباي الجزائر، فقاموا بحصار المدينة وتحريرها من سيطرة فرسان القديس يوحنا سنة 1551م وضمت إلى الخلافة العثمانية[4]، وجعلت قاعدة من قواعد الجهاد البحري في شمال إفريقيا، وهكذا فقد كان رجال البحر هم الوسيلة الفعالة في مد النفوذ العثماني في بلاد المغرب العربي باستثناء مراكش[5].

---

[1]- علي محمد محمد الصلابي: المرجع السابق، ص 235.

[2]- إسماعيل احمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، 1997، ص 64.

[3]- ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص 198.

[4]- محمد السعيد الطويل: البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرامنلي (1795- 1832)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2002، ص 38.

[5]- محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب: تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1989، ص 28.

ج/ عزلة المغرب الأقصى :

كان المغرب الأقصى يعاني من حالة ضعف وتفكك كبيرين التي كانت تسود البلاد المغاربية في القرن الخامس عشر فاحتل الإسبان والبرتغال معظم موانئه، وفي تلك الفترة ظهرت الأسرة السعدية التي استطاعت استرداد معظم المدن المغربية، وقد كان المغرب الأقصى هدفا للدولة العثمانية التي حاولت ضمه تحت لوائها بعد تحرير الحكام الأتراك في الجزائر لكل من تونس وطرابلس وإدخالهم تحت راية الخلافة العثمانية لذلك قادوا عدة محاولات لضم المغرب الأقصى[1]، لكنهم اصطدموا مع السعديين الذين رفضوا ذلك لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أحق من العثمانيين في حكم المغرب فهادنوا الإسبان واتجهوا بقواتهم لتخريب بعض موانئ الجزائر[2]، إلا أن صالح رايس أوقف التوسع المغربي ولرغبة السلطان العثماني في وحدة شمال إفريقيا خلال الصراع المحتدم بين المسلمين والصليبيين أمر بإعداد حملة لفتح مراكش بقيادة صالح رايس بالتعاون مع أبي حسون الوطاسي، وقد تمكنت هذه الحملة من دخول فاس عام 1554م وقام صالح رايس بتعيين أبي حسون حاكما على فاس[3]، ثم عاد إلى الجزائر لكن ذلك لم يستمر سوى لبضعة أشهر حيث تم القضاء على أبي حسون من قبل السعديين، ولما رأى المغاربة صلابة المجاهدين البحريين الجزائريين أثاروا على أنفسهم القوقعة ولم يحاولوا الإتحاد مع بقية بلدان المغرب العربي، وبذلك بقي المغرب في عزلة ولم ينطو تحت لواء الدولة العثمانية[4].

---

[1]- خاليد فؤاد طحطح: "العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث القرن السادس عشر. أواخر الثامن عشر"، دورية كان التاريخية، العدد الرابع عشر، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، ديسمبر 2011 ، ص ص 106- 107.

[2]- أحمد سالم علي: "العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر"، دورية كان التاريخية، العدد الثالث عشر، دار ناشري للنشر الالكتروني، سبتمبر 2011، ص ص 49- 51.

[3]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة السعدية، تحقيق وتعليق جعفر الناصري، محمد الناصري، ج5، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1955، ص 28.

[4]- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، المجلد الثاني من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1978، ص 203.

نخلص في الأخير من هذه الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات التي نجملها في النقاط التالية:

ـ شكل البحر الأبيض المتوسط في القرن السادس عشر نقطة صراع كان العامل الديني المحرك الأساسي له بين الإسلام والمسيحيين، حيث عرفت منطقة الشمال الإفريقي مع مطلع القرن السادس عشر أوضاعا داخلية متأزمة جعلها محط أطماع الدول الأوروبية خاصة بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس، حيث تعرضت سواحل الشمال الإفريقي للغزو الإسباني والبرتغالي، فاستولى الإسبان على أهم المراكز البحرية في المغرب الأوسط، في الوقت الذي كانت فيه قوة الإخوة بربروس في ازدياد فذاعت شهرتهم وانطلقت صيحات سكان المغرب العربي مستنجدين بهم وكان أولهم سكان مدينة بجاية، ولذلك شرع الإخوة بربروس في تحرير كامل المنطقة من التواجد المسيحي، وتمكنوا من تحرير معظم سواحل المغرب الأوسط من الاحتلال الإسباني ووضع اللّبنة الأولى لدولة الجزائر الحديثة.

ـ كان للإخوة بربروس الفضل في نشأة الأسطول الجزائري وتطوره في العهد العثماني الذي حقق إنجازات كبيرة كان أهمها استرجاع حصن البنيون سنة 1529م، بالإضافة إلى صد الحملات الصليبية الموجهة ضد الجزائر، وقد اعتمد رياس البحر على توفير هياكل خاصة ساعدت البحرية الجزائرية في الوصول لقوتها والمتمثلة في السفن التي تميزت بالسرعة والخفة، وكذا توفره على بحارة أقوياء أمثال خير الدين بربروس، صالح رايس، علج علي.

ـ ساهمت عدة عوامل في تشكل قوة مدينة الجزائر في القرن السادس عشر كان أهمها طبيعة رياس البحر الأتراك كونهم يتمتعون بخبرة واسعة في مجال الحياة البحرية، بالإضافة إلى الموقع الهام للجزائر والمساهمة التي قدمها كل من الأندلسيين والأعلاج الذين يتمتعون بخبرة كبيرة في مجال بناء السفن والأسلحة، ولم تقتصر قيادة الأسطول البحري الجزائري على فئة الأتراك فقط فكان هناك رياس من الأعلاج ومن أبرزهم علج علي.

ـ أدى تأصل روح الأخوة وسط رياس البحر الجزائريين وشجاعتهم إلى إقدامهم من أجل مساعدة المسلمين المضطهدين في الأندلس، حيث برزت مساهمة الجزائر الكبيرة في دعم هؤلاء الأندلسيين، فقام البحارة الجزائريون بنقل الآلاف منهم إلى السواحل الجزائرية وتخليصهم من القهر الإسباني المسلط عليهم، فلمعت عدة أسماء كان لها الفضل في إنقاذ هؤلاء المضطهدين منهم خير الدين، آيدين رايس، صالح رايس وعلج علي.

ـ تمكن رياس البحر الجزائريين من طرد الإسبان من معظم المناطق في الجزائر وصد أقوي الحملات الأوروبية و من أهمها حملة شارلكان سنة 1541م، فكان لهزيمة هاته الحملات صدى كبير في كامل بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط ما أكسب الجزائر مكانة كبيرة، فأصبحت تشكل مركزا لقوة بحرية استطاعت فرض سيادتها على الحوض الغربي للمتوسط، كما شارك رياس البحر الجزائريين مع أسطولهم في تنظيم عدة حملات من أجل تحرير البلدان المجاورة فتمكنوا من تحرير طرابلس سنة 1551م وتونس سنة 1574م، أما فيما يخص المغرب الأقصى فقد نظمت عدة حملات بقيادة حكام الجزائر كانت تهدف لضم المنطقة تحت حكم الدولة العثمانية وتحقيق وحدة الشمال الإفريقي لكنها باءت بالفشل لرفض حكام المغرب الأقصى الانطواء تحت راية الدولة العثمانية.

ـ قيادة رياس البحر الجزائريين لوزارة البحرية العثمانية مثل خير الدين بربروس وعلج علي، ومساهمتهم في العديد من حروب الدولة العثمانية ضد القوى الأوروبية، ومن أهمها معركة ليبانت 1571م، حيث تولت الجزائر مهمة الدفاع عن العالم الإسلامي والمسلمين في إطار ما يعرف بالجهاد وحماية سيادة الأمة الإسلامية من الأخطار الخارجية التي تهددها.

في الأخير يتضح لنا أن المواقف البطولية التي قام بها رياس البحر الجزائريين ساهمت في ظهور دولة الجزائر الحديثة، التي استطاعت أن تفرض سلطتها كقوة بحرية فحضيت بمكانة وهيبة كبيرتين بين الدول، وذلك بفضل نجاح سياستها الخارجية أمام عجز سياسة الدول الأوروبية أمامها فأصبحت تشكل دارا للجهاد وقلعة أمامية لصد العدو الصليبي.

1/ المصادر:

1ـ ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1967.

2ـ ابن المفتي (حسين بن رجب شاوش)، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.

3ـ بربروس (خير الدين)، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

4ـ خوجة (حمدان بن عثمان)، المرآة، تعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

5ـ سبنسر (وليام)، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.

6ـ كوران (أرجمنت)، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970.

7ـ ماخوفسكى (ياتسيك)، تاريخ القرصنة في العالم، ترجمة أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2008.

8ـ المحامي (محمد فريد بك)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981.

9ـ المزاري (الأغا بن عودة)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحي بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990.

10ـ مؤلف مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر، تحقيق وتقديم عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

11ـ الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة السعدية، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، ج5، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1955.

12ـ وولف (جون ب)، الجزائر وأوروبا 1500ـ 1830، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

2/ المصادر بالغة الفرنسية:

1_ FRAY Diego de HAEDO, abbé de FROMESTA : Histoire des Rois D'Alger, Traduite et annotée par : H.D.DE GRAMMONT, Adolphe Jourdan, libraire éditeur, Alger, 1881.

2_ H.D.DE Grammont, Histoire D'Alger ,sous la DONAIMATION Turque (1515_1830), Ernest LEROUS, PARIS, France, 1887.

3/ المراجع:

1ـ الأرقش (دلندة) وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال مصادره، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003.

2ـ إيشبودان (العربي)، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، ترجمة جناح مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

3ـ إينالجيك (خليل)، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2002.

4ـ بوعزيز (يحي)، الموجز في تاريخ الجزائر الحديثة، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

5ـ بوعزيز (يحي)، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500ـ 1830، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

6ـ تابليت (علي)، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776ـ 1830، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013.

7ـ التر (عزيز سامح)، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1989.

8ـ التميمي (عبد الجليل)، الدولة العثمانية وقضية المورسكيين الأندلسيين، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1989.

9ـ الجمل (شوقي عطا الله)، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1977.

10ـ الجيلالي (عبد الرحمان بن محمد)، تاريخ الجزائر العام، ج3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

11ـ حركات (إبراهيم)، المغرب عبر التاريخ، المجلد الثاني، من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1978.

12ـ زروق (محمد)، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16ـ 17، إفريقيا الشرق، ط3، المغرب، 1998.

13ـ سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996.

14ـ سعيدوني (ناصر الدين)، البوعبدلي (الشيخ المهدي)، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

15ـ سعيدوني (ناصر الدين)، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.

16ـ السليماني (أحمد)، النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني، مطبعة دحلب، الجزائر، 1993.

17ـ سي يوسف (محمد)، أمير أمراء الجزائر علج علي باشا، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

18ـ السيد (محمود)، تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2006.

19ـ شاكر (محمود)، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ج8، المكتب الإسلامي، ط4، بيروت، لبنان، 2000.

20ـ الشلق (أحمد زكريا)، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516ـ 1916، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2002.

21ـ شويتام (أرزقي)، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر، 2010.

22ـ الشيخ (رأفت)، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، 1994.

23ـ الصلابي (علي محمد محمد)، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بور سعيد، مصر، 2001.

24ـ الطويل (محمد السعيد)، البحرية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرامنلي (1795ـ 1832)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، 2002.

25ـ عامر (علي محمود)، فارس (محمد خير)، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى، ليبية)، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2000.

26ـ عباد (صالح)، الجزائر خلال الحكم التركي 1514ـ 1830، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر، 2005.

27ـ العسلي (بسام)، الجزائر والحملات الصليبية 1547.1791، ج2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980.

28ـ العسلي (بسام)، خير الدين بربروس(والجهاد في البحر) 1470ـ 1547، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1980.

29ـ عودة (محمد عبد الله)، الخطيب (إبراهيم ياسين)، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989.

30ـ غطاس (عائشة) وأخريات، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

31ـ قنان (جمال)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.

32ـ قنان (جمال)، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619ـ 1830، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

33ـ قنان (جمال)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500ـ 1830، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.

34ـ المدني (أحمد توفيق)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492ـ 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.

35ـ المدني (أحمد توفيق)، هذه هي الجزائر، ملتزمة النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 2001.

36ـ المطوي (محمد العروسي)، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982.

37ـ المودن(عبد الرحمان)، بنحادة(عبد الرحيم)، العثمانيون والعالم المتوسطي، مقاربات جديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الدار البيضاء، المغرب، 2003.

38ـ الميلي (مبارك بن محمد)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

39ـ نايت بلقاسم (مولود قاسم)، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2007.

40ـ ياغي (إسماعيل أحمد)، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط2، المملكة العربية السعودية، 1998.

41ـ ياغي (إسماعيل احمد)، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997.

42ـ يحي (جلال)، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 1999.

4/ المراجع الأجنبية:

1_ Ernest MERCIER، Histoire de L'Afrique septentrionale (BERBERIE), DEPUIS LES TEMPS LES PLUS RECULES JUSQ'ALA CONQUETE FRANCAISE(1830),Tome1, Ernest Leroux éditeur, paris, 1888.

2_ MOULAY BELHAMISSI : MARINE ET MARINS D'ALGER (1518 _1830), Tome 2, FACE A L'EUROUPE, BIBLIOTHEQUE NATIONALE D'ALGERIE, ALGER, 1996.

5/ الموسوعات والمقالات:

1ـ الجميعي (عبد المنعم إبراهيم)، الدولة العثمانية والمغرب العربي، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، مدينة نصر، القاهرة، 2007.

2ـ الزيدي (مفيد)، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العثماني، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2003.

3ـ طحطح (خاليد فؤاد)، "العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث القرن السادس عشر- أواخر الثامن عشر"، دورية كان التاريخية، 14، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2011.

4ـ علي (أحمد سالم)، "العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر"، دورية كان التاريخية، العدد الثالث عشر، دار ناشري للنشر الالكتروني، 2011.

5ـ المشهداني (مؤيد محمود محمد)، "أوضاع الجزائر خلال الحكم التركي (1518- 1830)"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد 5، العدد 16، جامعة تكرت، الجزائر، 213.

الملحق رقم 01 :

مدينة الجزائر مطلع القرن 16 وعلى اليمين قلعة البنيون التي بناها الإسبان لمراقبة المدينة قام خير الدين بربروس بتدميرها وبناء ميناء الجزائر على أنقاضها

نموذج لسفينة قادرغة التي أهداها السلطان سليمان القانوني لخير الدين بربروس

مجسم لسفينة من نوع قادرغة عليها رايات خير الدين بربروس (متحف البحرية العثمانية بإستانبول)

ـ خير الدين بربروس: المصدر السابق، ص 115

الملحق رقم 02: صور لبعض رياس البحر.

خير الدين (بربروس الثاني)

[illegible]
على قلش

ـ مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق، ص ص 132ـ 133.